الغربة والاغتراب في السيرة الذّاتيّة لعبد الملك مرتاض

البحث في تجاعيد الذاكرة

د. ربيحة بلحاج

جامعة "بلحاج بوشعيب" عين تموشنت، الجزائر

ملخّص:

يحاول هذا البحث تسليط الضّوء على ظاهرة الاغتراب، والّتي هي ظاهرة نفسيّة عاينتها النّفس البشريّة منذ أوّل وطأة لها على أديم الأرض، و هي الوحدة النّفسيّة الّتي تصيب الإنسان بسبب الصّراعات القائمة بين محيطه و ذاته، و ليس الأديب بمنأى عنها، فهو أكثر النّاس تأثّرا ، لذلك تعكس مؤلّفاته على اختلافها أجناسها عدم الرضى و الشّعور بعدم الانتماء و الرغبة في العزلة و الابتعاد.

والأدب الجزائري ليس بمنأى عما يدور في الساحة الأدبيّة حديثها ومعاصرها، إذ تطفو مؤلّفات الدكتور عبد الملك مرتاض لتثبت مسايرة كلّ المستجدّات، وسيرته الذّاتيّة الموسومة بالحفر في تجاعيد الذّاكرة" ترجمان ذلك وانعكاس له، بما اشتملت عليه من غربة واغترابات مختلفة؛ أسريّ، اجتماعيّ، وجوديّ، مكاني، سيّاسيّ، دينيّ، ...وغيرها.

الكلمات المفتاحيّة: عبد الملك مرتاض، أدب السّيرة، الاغتراب،؛ أسريّ، اجتماعيّ، وجوديّ، مكاني، سيّاسيّ، دينيّ.

1-تقديم كتاب" الحفر في تجاعيد الذاكرة":

يقع الكتاب في ثلاثمائة و واحد و سبعين صفحة، تشكل السيرة الذاتية لصاحبها الأديب و الكاتب المحنّك عبد الملك مرتاض ضمّنها من الذكريات و الأحداث ما علق بذاكرته.

إنّه الكاتب و النّاقد و المبدع في أعماله المختلفة من أمثلة ذلك، القصّة في الأدب العربي القديم، النص الأدبي من أين إلى أين؟ ، فنون النشر الأدبي الجزائري، القصة الجزائرية المعاصرة، في نظرية الرواية، وين الروايات و القصص، نار ونور، "الخنازير"، هشيم الزمن (مجموعة قصصية)...

صدرت الطبعة الأولى لـ" الحفر في تجاعيد الذاكرة" عن إتّحاد الكتاب الجزائريين، دار هومة الجزائر، سنة 2003، بمناسبة تنظيم سنة الجزائر بفرنسا.

صدر مرة أخرى عن دار الغرب للنشر و التوزيع بوهران، سنة 2004م. و يحوي ثلاثين عنوانا، تضمها خمسة فصول يمكن توزيعها حسب ما يلي، أول حول، الدار الأولى و العائلة، الثاني عن أطوار الدراسة من الخربيش بالخامس إلى السّربون بفرنسا، الثالث عن الكدح و العمل المضني في مسيردة، و رابع أرخ له برحلته إلى فرنسا و ما صاحبها من كدح و صدمة حضارية، و ختمها بفصل خامس حول الموروث الشعبي من أسواق شعبية و وعدات موسمية.

أمّا غلاف الكتاب (الواجهة)، فقد اختير له اللّون الأسود، الدّال على الهموم تارة وعلى السؤدد أخرى، و هو رمز الليل أحيانا أخرى، تتوسط صفحة الكتاب صورة امرأة من الطراز القديم ،واجمة، ناظرة إلى أسفل مهمومة، شاحبة اللّون، و لربّما هي انعكاس للذاكرة المترهّلة، البعيدة الذكريات، تقابلها صورة حمامة بيضاء مرفرفة بجناحيها نحو الأعلى، شاخصة ببصرها إلى الأفق، و يمكن اعتبارها رمز التفاؤل في حياة كاتب كانت مفعمة بالأسى و الهموم، أو هي تلك الأحداث السارّة السّعيدة في حياته على قلّتها، وخطوط حمراء مبهمة قد تعني جراحات الزمن وقسوة الحياة في نفس صاحب السيرة.

تضمنت هذه السيرة المراحل الحياتيّة للكاتب، حيث يتنقل بنا من طور الطفولة صبيّا إلى مرحلة الشباب و ذلك كله عبر سلم علمي تعلّمي بدأ من لوح القرآن بالخربيش بمسيردة إلى دكتوراه دولة من السربون الفرنسية.

كما جمعت بين طياتها أحداثا تاريخية و مفارقات عجيبة و وقائع معظمها تتمحور حول شخصية الكاتب، و تعكس بشكل واضح أثر يد الاستخراب الفرنسي في شتّى أنماط حياة الجزائريين، إبّان الحقبة الاستبداديّة المريرة.

لم يستق الكاتب معلوماته التي أوردها في سيرته، إلا من ذاكرته ليس إلّا، و هذا ما يثبته في قوله، " لم أعتمد في سرد مواقف من حياتي إلا على الذاكرة وحدها و لم أكن سجلت حادثة واحدة فكتبتها، على دأب بعض الكتاب، ثم عدت إليها لدى إنجاز هذا النص... بل استقيت كل المعلومات مما ظل عالقا بذاكرتي[1]".

إن الحنكة و الحكمة، كانتا وسيلتين ناجعتين، دعمتا ذاكرة الكاتب ليسرد لنا كل تلك الذكريات من خلال محاور كبيرة تتفرع، لتبدو كالمجموعة القصصية الدائمة التشويق الذي لم ينضب حتى النهاية المفتوحة للسيرة التي انطلق سرد أحداثها منذ عهد الطفولة الذي ولى منذ زمن بعيد مرورا بفصول الشباب.

ذكر الأماكن بأسمائها، و تحديد مواقعها الجغرافية بدقة، و تسمية الأشخاص الذين عرفهم في حياته بأسمائهم أمر لا يتسنى لكل كاتب سيرة ذاتية، و هذا ما يحسب له.

استعان بالهامش لشرح بعض المصطلحات العامية في منطقة مسيردة، و أحيانا في الغرب الجزائري، كما كان يفسر بعض الكلمات العربية القحة، إلى جانب التعريف ببعض المناطق و الأماكن التي عاش فيها أو زارها، أو النباتات المنتشرة فيها، بالإضافة إلى بعض الأكلات الشعبية و أنواع من الأطعمة و العادات، و كان في ذلك من المحسنين.

2-ملخّص كتاب "الحفر في تجاعيد الذاكرة ":

يلج الكاتب إلى عالم ذكرياته في هده السيرة صورة من طفولته بقيت عالقة بذهنه هي صورة أمه المنشغلة بغزل الصوف وهومتعلق في رقبتها " ربما أقدم ذكرى لا تبرح تحتفظ بخيوط واهية منها في نفسك هي حين كنت تتعلق في رقبة أمك وهي قاعدة تغزل الصوف"[2] ، وتتتابع خيوط التذكر لحالتي الفقر والشقاء ومعاناتهم من غزو حشرة القمل لكل شيء في بيئتهم " التي كانت بيئة مقمّلة مبرغثة عفنة بكل الحشرات مما كنتم تكرهون"[3]مما جعل عملية فلي الرؤوس اعتيادية دأبت عليها النساء عند كل ضحى .

ذلك أدى بأبيه بأن يحلق له شعره على الدّوام، وكثيرا ما سبب له التورّم بسبب موسى الحلاقة الصدئة الحافية، يردفها بذكرى أليمة أخرى هي يوم ختانه في مرحلة متقدمة من طفولته، ثمّ يعرج على مغامرة من مغامرات طفولته حين أمضى موس الحلاقة على سبابته اليسرى كاد يقطعها، لولا العناية الإلهية التي أوقفت له السيدة البولندية التي قدمت له الإسعافات الأولية، ومن ثمّ إلى حادثة سرقة البرقوق من حديقة المعلم شعايب وكيف أن زوجته أمسكت به وضربته ضربا مبرحا ولم تكشف فعلته لأهله .

ثمّ يعتصر الذاكرة التي رسبت في أعماقها ذكرى مرافقته أخته" زليخة" وأخيه "محمد" اللذين يكبرانه سنا فكان هو في الثالثة أو الرابعة من عمره و"محمد" فيما يقارب العاشرة من عمره أما "زليخة" ففي السابعة عشر يخرجون إلى الغابة والى البرية للاحتطاب .

يصف دارهم الأولى في دار بغابة" الحريقة" في منطقة مسيردة العليا حيث نشأ ويقدم لها وصفا دقيقا فينعتها بالكوخ " ربّما كان اسم الكوخ أدلّ لغة وأصدق تعبيرا "[4] لكون تلك الدار من البساطة الشديدة والحقارة ما يضعها في تلك البوتقة النعتية، زد على دلك أصناف الحشرات والدويبات التي كانت تشاركهم الدار.

وممّا يتذكره امتلاك أمه صندوقا من جهازها يكاد يخلو تماما أما أبوه هو الآخر كان له صندوقه الذي يحوي بعض الكتب الفقهية التي يلجا إليها عند الفتية وكتب أخرى يستعملها في كتابة الحروز .

كان يجوب البراري للتجوّل والصيد والاحتطاب و أحيانا للرعي، أمّا رحلته العلمية فتبدأ من الخربيش بالخماس، حيث تعلم الحروف الأبجدية للغة العربية عند الفقيه سي عبد القادر بوطالب بالكتابة على اللوح بحبر السّماق، كان خلال تلك الفترة يردد كلاما لم يكن يفهم معناه " لمدة قد تبلغ ثلاثة شهور بل ربما قد تبلغ سنة كاملة عند المتبلدين "[5] وتمر الأيام وتوافي الشيخ الفقيه المنية، فتعم الفرحة لدى طلابه لخلاصهم من الابكار، هذا من جهة ومن جهة أخرى للتمتع بطعام الجنازة " كان كل ذلك يمتعك ويسليك كانت الفرحة في الحقيقة تغمر كل حفظة القران بنعي الموتى لأنّ ذلك كان يتيح لهم وخصوصا في فصل الشتاء أن يلتقوا فيطعموا كسكسيا بلحم الضأن ولو كان مفتولا بدموع أقارب الهالك وكانوا لا يرثون "[6] ذلك كان حال الناس في ذلك الوقت ومن خلال هدا تتجلى القسوة والجفاء نظرا لمرارة الحياة وجدب العيش .

ثم توالت المصائب بعائلة عبد الملك الطفل، إذ توفي جده من أبيه ثم جدته الأنيقة"رقية" ولم يلبث طويلا حتى مات أخوه الأكبر" محمد" وهو في العاشرة من عمره بعد ختمه القران الكريم بامتياز، ثم توفيت أخته زليخة تلك الصبوحة الفارعة الطول، وهي في الثامنة عشر من عمرها لتلحقها أختها "فاطمة الزهراء" في سن الثامنة، ليليهم العم المقدم "عبد المؤمن" وقد اعتزل والده الناس لمدة معينة بسبب وفاة ابنه" محمد " ، "ولقد بلغ به

الجزع إلى أنه ترك الحفاظ يتلون القرآن ليلا على روح الفقيد واصطحب فانوسا يضيء بالنفط، ثم قصد المقبرة بالخماس والتي كانت تبعد عن ظهر البجائي قريبا من ألفي متر، ثم نبش قبر محمد العزيز، ظنا منه أنّه ربما يكون قد بعثت فيه الحياة "[7] .

لم يحرص الكاتب على الترتيب الزمني التاريخي للأحداث بل يورد أحداثا لا علاقة لها ببعض، فيروي شرود البغلة التي كان يمتلكها والده وينتقل على ظهرها حيث ما ارتحل، وكيف عاقبها بعنف بعد ذلك لتموت بعد عامين.

عمل والد عبد الملك الفتى على تحفيظه القرآن الكريم بحرص شديد، كما شجعه على أن يؤمّ الناس صغيرا،خاصّة في صلاة التراويح، وعندما بلغ السابعة عشر من عمره قرّر الذهاب إلى فرنسا للكدح وجمع المال، لأجل الدراسة في قسنطينة بمعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس، أين سكن حماما منتنا، درس خمسة أشهر فقط، وتوقفت الدراسة بسبب قيام الثورة، ثم أغلق المعهد تماما من طرف سلطات الاستدمار الفرنسي .

ثم شدّ الرحال إلى جامع القروين بمدينة فاس المغربية واجتاز الامتحانات بتفوق، ثمّ سجل في السنة الثالثة بالطور الأول لكنه أصيب بداء السل، وأدخل على إثره للمستشفى، وشفي بعد شهور عديدة، ثم عمل مدرسا وواكب على الدراسة في الآن ذاته.

كان في كل صيف يوافي احده المدن المغربية رفقة صديقه محمد حبار للتحضير للشهادة الثانوية " ثم تسجلتما في كلية الآداب بالرباط فتسجل هو في قسم التاريخ وتسجلت أنت في قسم الآداب بعد اجتياز السنة التحضيرية "[8].

لم تؤنسه العافية إلا قليلا حتى مرض بقرحة المعدة " غير أن الأمراض كانت لا تزال عليك تتوالى ولعل دلك كان عائدا إلى القلق الشديد الذي كنت تعيشه من قبل فنزف الدم هده المرة من معدتك لا من قصبة رئتيك "[9] لم يعقه دلك من المشاركة في الامتحانات لنيل شهادتي الأدب وفقه اللغة، ثم نال شهادة الحضارة وتمّ تخرجه من المدرسة العليا للأساتذة، لكنه لم يمكث بعدها إلا قليلا ليعود إلى الجزائر ليشغل منصب مستشار تربوي بوهران لفترة وجيزة، وانتقل بعدها للتدريس بثانوية ابن باديس في المدينة نفسها وفي ذات الفترة تسجل بجامعة الجزائر في دكتوراه الحلقة الثالثة في فنّ المقامة في الأدب العربي، ونالها سنة 1970 وكانت أول دكتوراه تمنحها جامعة الجزائر بعد الاستقلال .

ولأنه كان شغوفا بطلب العلم، والعلم بحر لا حدود له، سجل بجامعة الرباط للتحضير لشهادة دكتوراه دولة حول فنون النثر الأدبي في الجزائر 1931–1954، إلّا أنّ الظروف السياسية آنذاك حالت دون ذلك .

ثم تعود به الذاكرة من جديد إلى بلدته الأولى في زمن صباه، فيحدثنا عن مرافقته أخته "زليخة" إلى البراري للحفر عن البقوق، ثم عن مغامرته في جمع الحلزون الذي كان يغلى في الماء والملح ونبتة النائخة، لتصنع منه أكلة شعبية، ومن الأعمال الشاقة التي كابدها احتطاب الحطب وفتل الضفيرة .

بعد ذلك تتزاحم الذكريات في ذهنه فتعاوده أحداث العمل في فرنسا، ذكرى العمل الشاق والغربة والصدمة الحضارية التي عاشها مرتين، أولى حينما لاحظ مدى ما هم عليه من تطور، وما كان عليه مجتمعه من تخلف، وثانية حين طلبت منه الممرضة الفرنسية التعري تماما لأجل الفحص الطبّي حتى يتمّ قبوله في معمل "لاستوري" .

ومن الذكريات التي لا تنسى قصة الشاب الفرنسي الحقود الذي كان لا يتوانى عن تحقير العمال الجزائريين، وكاد له ذات مرة وأوشك أن يودي بحياته. ويحن من جديد إلى ذكرى البيئة الأولى التي درج فيها، فيورد أحداث الأسواق الشعبية وما كان يجري فيها والوعدات التي عرفتها منطقة مسيردة في فترة صباه فيسمي الأسواق سوقا سوقا،ووعدة وعدة ذاكرا أهم أحداثها ووقائعها وطرائف روادها.

3 –ظاهرة الاغتراب النفسي :

أصبح مصطلح الاغتراب أحادي البعد حيث فقد المعنى الايجابي له ، و بدأ التركيز على المعنى السلبي فقط ، و أصبح هذا المفهوم مقترنا في أغلب الأحوال بكل ما يهدد الانسان و حريته بالاستئصال أو التزييف ، هذا ما جعل الاغتراب بمفهومه الأحادي ينثر في العلوم النفسية و الفلسفية ، لكن مما يستحب الاشارة اليه هو ضرورة الاعتدال في اسقاط أبعاد الاغتراب على الأعمال الأدبية بايجابياتها قبل سلبياتها .

يتخذ الاغتراب في الدراسات النفسية و لاسيما في علم النفس الأدبي الذي يتناول الأعمال الأدبية من الجانب النفسي أشكالا عديدة منها الاغتراب الأسري ، والثقافي،

والسياسي ، الاجتماعي ، الابداعي ، الذاتي ، الديني ، التعليمي ، الفكري ، و الاقتصادي ...

و إدراك الاغتراب مرتبط بالوعي عادة ، و الوعي بنفسه مرتبط بادراك الامكانيات وتصور ما يمكن أن يحققه المرء مستقبلا ، لذلك يتولد لدى الفرد الحاجة بالتضحية بالمهم لأجل الحصول على الأهم .

مشاعر الحزن و الوحدة من أكبر المشاكل التي تواجه الناس اليوم ، وعادة ما يرتبط الاثنان معا ، لأن الحزن كان يتسلط عليهم بسبب شعورهم بالوحدة . و مجتمعنا الحديث والمعاصر شهد تفشي ظاهرة الوحدة أكثر منه في الأزمنة الماضية ، ففي بيئة تزايدت نسبة السكان أصبح الناس أكثر طلبا للمشورة والمساعدة حتى يمكنهم التخلص من الاحساس بالوحدة الخانقة .

و يكون الشعور بالوحدة النفسية شعور خاص بالانسان دون غيره من الكائنات الحية، بسبب امتلاكه نظاما اجتماعيا يضبط حياته فيؤثر فيه و يتأثر بما فيه ايجابا و سلبا ، فأي نازلة أو نائبة تنزل بمجتمعه إلا و لها وقعها عليه ، فأي اضطراب يصيب علاقة الانسان بغيره من بني جنسه أو أي تغيير يحدث على مستوى النظام الاجتماعي الذي ينتمي اليه ينعكس على الفرد ، فتختلط عليه كثير من المشاعر و المفاهيم فيتولد عنه الشعور بالاغتراب أو الانطواء أو العزلة ، و من أثر ذلك المعاناة من الوحدة النفسية و التي من شأنها احداث تغيير جذري في حياة الفرد و نشاطاته كما أنها قد تصبح دافعا سلبيا في حياته نحو الانحراف أو تكون سببا قويا للابداع و الخلق و الانجاز كما حدث مع أديبنا "عبد الملك مرتاض " و ذلك ما تصوره مراحل طلبه العلم من بالخماس و من جامعي تيزي حماد و القمرة الى معهد ابن باديس وصولا الى جامع القرويين و منه الى جامعة الرباط بالمغرب انتهاء إلى السربون بباريس .

إن التنشئة الدينية لـ " عبد الملك مرتاض " جعلته يحاط بسياج حصين فلم يعرف الاكتئاب و لا الانطواء كما يحدث مع أولئك الذين نشئوا تنشئة مختلفة ، لذلك تعلم كيف يتعامل مع ما قدمه له الله برضى و قبول مهما كان محزنا أو مؤلما، و ما أكثر ما عاناه من مفارقات الحياة .

و نظرا لأن المسلم الفرد لا ينطوي على نفسه بعيدا عن الناس و لا يشرنق نفسه في برج عال بمنأى عنهم، لأنه مفطور على الاجتماع بغيره ، إلى التأثر به و التأثير فيه

إذ يحدث أنه عاش أديبنا ألوانا من الوحدة و الغربة و الاغتراب، إمّا بسبب ظروف قاسية أو بسبب أقدار محتمة أو بفعل الهجرة و النأي عن الأحبة طلبا للرزق و العلم .

. تعريف الوحدة النفسية :

أ . لغة : " و هي بفتح الواو و تسكين الحاء ، و هي في التعريف اللغوي : الوحدة ضد الكثرة ، و الوحداني : المنفرد بنفسه " [10]

ب . اصطلاحا : تعددت تعريفاتها لدى العلماء و اختلفت مفهوماتها حسب وجهات نظر كل واحد منهم و لعل أشهر تعريف هو ما أتى به " لينش " حيث يعرف الشعور بالوحدة النفسية بأنه " حالة يشعر فيها الفرد بالوحدة أي بالانفصال عن الآخرين و هي حالة تصاحبها معاناة الفرد بكثير من ضروب الوحشة و الاغتراب و الاغتمام و الاكتئاب وذلك من جراء إحساسه بالوحدة "[11]

و يرى آخرون على أن الوحدة النفسية تحدث بسبب غياب الانسان عن أحبته لفترة طويلة .

كما يعرفها " كمال عودة " على أنها " ظاهرة من ظواهر الحياة الإنسانية يعبُرها الإنسان بشكل ما ، و تتسبب له بالألم و الضيق و الأسى ، فهي حقيقة حياته لا مفر منها، لا تقتصر على فئة عمرية معينة ، كما رأت ، يعاني الأطفال، والمراهقون ، والراشدون، والمسنون " [12].

و الوحدة النفسية تبدأ مع الانسان منذ الطفولة عند احتياجه للاتصال بالآخرين وتؤثر في خبرته و نموه و تصل الى أهميتها القصوى في نموه مع بداية مرحلة المراهقة ، فالطفل يقابل العديد من المواقف في حياته مما يجعله يواجه احساسه بالوحدة النفسية " ذلك شأن حجرة العائلة التي كان يحشر اليها أثناء الليل قريب من اثني عشر نفرا من عباد الله و هم مكرهون فلقد وضعت الوالدة الكريمة أربعة عشر صبيا و صبية ، مات أربعة منهم و عاش عشرة ، خمسة بنات ، و خمسة بنين" [13].

إن الشعور بالوحدة النفسية يحس بها الإنسان عبر مختلف مراحل حياته وذلك حين يكون وحيدا و بعيدا عن مختلف العلاقات الاجتماعية ، و هذا الشعور خبرة أليمة و شاقة ومريرة على النفس البشرية ، حيث يقاسي الفرد ويعاني من جراء هذا الشعور البغيض والتعس و فقدان الحب و كذلك الشعور بانعدام الود و الصداقة و الاهتمام من الأصدقاء والزملاء ... الى جانب الشعور الدائم بالحزن و التشاؤم و الانعزال و انعدام قيمة الذات ، والبعد عن المشاركة و التفاعل مع الآخرين ، و بالتالي انعدام الثقة بالآخرين و الشعور بفقدان التواصل الاجتماعي ، بل فقدان أي هدف أو للحياة ، مما يؤدي في نهاية الأمر الى الاحساس بأنه شخص غير مرغوب فيه أو أنه لا فائدة منه ، فيفقد الاهتمام بأي شيء ، نتيجة عدم الرضا الناتج عن اعاقة أو عدم تحقيق مطلب هام من مطالب النمو الانساني . كما يستعرض " ويس " بأن " الشعور بالوحدة النفسية هو ظاهرة معقدة و سببها النتائج العاطفية السلبية ، كما تنتج من ألم الانفصال ، و غياب أشكال المودة " [14] .

يتضح مما سبق ، أن الشعور بالوحدة النفسية هو حالة يخبرها الفرد تنشأ أساسا عن قصور في العلاقات الاجتماعية للفرد مع الآخرين ، مما يجعل الفرد يشعر بالألم والمعاناة بسبب احساسه بعدم ثقيل و اهمال الآخرين له ، و مما يوافق ذلك ما حدث لأديبنا " عبد الملك مرتاض " حينما طالت عليه مدة التسجيل للدراسة في معهد ابن باديس الذي كان يديره أحمد رضا حوحو رحمه الله ، " كنت كل يوم تعود الى حمامك خائبا و أنت منكسر النفس حزين فكان اليوم ينقضي ، لينقضي بعده يوم آخر و لا يصلك دورك ..."[15].

إن أديبنا هنا في هذا التعبير أقر بنفسيته المنكسرة و ذلك الاغتراب واليأس الذي شعر به جرّاء ذهابه و رجوعه من معهد ابن باديس و هو خائب لم يسجل فيه بعد .

4-الاغتراب الأسري :

يتولد الاغتراب الأسري عندما يشعر الفرد بتناقض بين نمط العلاقات الاجتماعية القائمة فعليا بينه و بين الآخرين ، و نمط العلاقات التي يحب ويتمنى أن يقيمها معهم ، ولعدم تحقق ذلك يجد نفسه يحس ب " افتقاد المهارات الاجتماعية اللازمة لانخراطه في علاقات مشبعة مثمرة مع الآخرين "[16].

فالاغتراب الأسري نابع من فقدان الأسرة و الأحبة على وجه الخصوص ، لأن الأسرة تعد كل شيء بالنسبة للفرد ، خصوصا الجانب النفسي لأنها تحمل الأب و الأم والأخت وهذه العلاقة هي أكثر و أصدق العلاقات الاجتماعية لذلك فهذا النوع من الاغتراب هو الأصعب ، و نجد مثل هذا الأمر عند أديبنا عبد الملك مرتاض ، فحينما عاد الفتى الى بيتهم متأخرا بعد عمله في و لم يكترث أهله لغيابه رغم الظلام الذي كان يسودفي البراري وصعوبة المسالك و مسافة الخمسة عشر كيلومتر التي قطعها ركضا ، " و دخلت و حييت وكأنك عدت الى البيت قبل الغروب ، و كأنك كنت في سن الخامسة و العشرين ، وكأنك كنت في نزهة بغابة الحريقة تلهو . فلم تلاحظ أي قلق عليك بدا من أهل البيت " [17].

لم يكن يعنى به عناية خاصة من طرف أمه لكثرة انشغالها بالأعمال التي تقوم بها جلّ نهارها و طائفة من ليلها ، هذا من جانب و من جانب آخر عدد الإخوة الكثيرين ، فلم تكن تجد الوقت الكافي للاعتناء بكل واحد على حدى حين كنت تتعلق في رقبة أمك و هي قاعدة تغزل الصوف ، و أنت تداعب ضفيرتي شعرها الأسود الطويل . لم يكن ممكنا أن تتعلق في أمك من أمامها ...

و لا أن تأخذ بيدها و تمشي معها متجولا بين الحقول و الأشجار ... كانت مشغولة ... ثم أين أنت من اخوتك الذين كانوا متقاربين في الأسنان ، فكانوا يملؤون فضاء الكوخ وما حوله من الدمنة ضجيجا و عجيجا فكان كل منهم يتنازعها فيراها خالصة له وحده من دون الإخوة الآخرين .."[18].

بعدما عمل في احتطاب الحطب ، و تكبد عناء قطع الأخشاب الجزلة و جهها ثم حملها على ظهره ، لم يكن أحد يشكره على ما قدم من خدمات الأسرة " و كنت تنتظر من أهل البيت أن يلتفتوا اليك فيشكرك أحد منهم على ما بذلت من جهد ، و على ما كابدت من عناء في جمع الحطب و نقله على ظهرك و أنت كادح محروم ... لكن لا أحد كان يعيرك أدنى عناية أو اهتمام ، كأنك ذلك كان مقدرا لك في الأزل ، مفروضا عليك في اللوح ، فلا أحد كان يكافئك بالشكر على ما كنت تنهض به من واجب ازاء الأسرة ".[19]

إنّ كان ما شعر به الكاتب اغترابا أسريا ، فهذا ربما لم يكن يختص به دون غيره ، وانما تلك حالة غالبية الأطفال الجزائريين ابان ذلك الاستغرابي بسبب ما تحدثه الفاقة

والحاجة الملحة في النفوس من شقاء حتى تغدو جافة جفاف تلك السنين من عطاء الخير ومفتقرة افتقارها للعيش الكريم .

من ميزان معتدل الكفتين في النظر الى ما كان يعيشه أفراد المجتمع الجزائري تحت وطأة الاستغراب و ما جره على الجزائريين وبال الحرمان والمجاعات و الضنك ، أضحت تلك الظروف فيما بعد منحة بعد أن كانت محنة لأنها ولدت جيلا صلبا صلابة ظروفه عصيا ناهض المحتل بشكل أو بآخر ، فاستغراب غريب دخيل جعل من شعب مغترب في وطنه ، محاصرا في أرضه فجنى ما زرع بكلتا يديه فيما بعد ، **فيداك أوكتا وفوك نفخ** [*].

إن الشعور بالوحدة النفسية غالبا ما ينشأ بسبب ضعف مساندة الآخرين ، لذلك فالمساندة الاجتماعية " معلومات تقود الشخص الى الاعتقاد بأنه يحظى بعناية الآخرين ومحبتهم ، و أنه جزء من شبكة تواصل و التزامات متشابكة ، و أنه يحظى بتقدير الآخرين و احترامهم " [20].

إذن الوحدة النفسية و خصوصا الوحدة الأسرية ناتجة عن ضعف مساندة الأسرة لفردها لذلك يشعر بعدم محبتهم له ، و يصبح يحس بالاغتراب الأسري.

5-الاغتراب الاجتماعي :

هو شعور بعدم التفاعل بين ذات الفرد و ذوات الآخرين و نقص المودة ، و الألفة مع الآخرين، و ندرة التعاطف و المشاركة و ضعف أواصر المحبة و الروابط الاجتماعية مع الآخرين .

يشير روتر الى " أن العلاقة التي يسودها الحب و الدفء بالاضافة الى أنها تمثل مصدرا للوقاية من الآثار السلبية الناتجة عن تعرض الفرد للأحداث الضاغطة ، فانها ترفع من تقدير الفرد لذاته و فاعليته و هما عاملان واقيان يساعدان الفرد على مواجهة الأحداث الضاغطة " [21].

إن الظروف الاجتماعية القاسية لكل فئات المجتمع الجزائري حرمتهم في غالب الأحيان من أبسط حقوق العيش الكريم كبشر يدبون على الأرض يعزى جله الى الاستعمار الفرنسي الجاثم على الصدور و النفوس .

لأجل ذلك كله عانى الكاتب في طفولته من غربة اجتماعية حتى بين أقرانه، فكان حين يشاركهم في لعب كرة القدم المصنوعة من الثياب البالية أو من الدوم ، فكانوا يلعبون وهم محتذين الأحذية ، أما هو فكان يلاعبهم حافيا " و أما الرجلان فحافيتان متورمتان ... وكان لداتك يروغون عنك روغا أثناء بعض اللعب حين كنت تظفر بالكرة ... مخافة أن تصيب كم بقدميك أحذيتهم، وخصوصا إذا كانت جديدة، فتمزّقُها تمزيقاً " [22].

و لعل هذا التفاوت حتى في امتلاك الأحذية هو اغتراب اجتماعي عاشه أديبنا لأنه يحس بذلك الفارق بينه و بين الآخرين و هذا ما نستخلصه في نفسيته الدالة على ذلك .

و قد ميز " يونج " young بين ثلاثة أنواع من الوحدة النفسية و هي : " الوحدة النفسية العابرة : و تتضمن فترات من الوحدة النفسية على الرغم من أن حياة الفرد الاجتماعية تتسم بالتوافق و الملاءمة .

الوحدة النفسية التحولية : و فيها يتمتع الفرد بعلاقات اجتماعية طيبة في الماضي القريب و لكنهم يشعرون بالوحدة النفسية حديثا نتيجة لبعض الظروف المستجدة كالطلاق أو وفاة شخص عزيز .

الوحدة النفسية المزمنة : و التي قد تستمر لفترات طويلة تصل الى حد السنين و فيها لايشعر الفرد بأي نوع من أنواع الرضا فيما يتعلق بعلاقته الاجتماعية"[23].

عندما فقدَ الكاتب في صِغره حذاء أبيه الذي كلّفه بِاصلاحه فعاش أياما من المعاناة والاغتراب الاجتماعي " وجدتك الوالدة مقرفصا كالقنفذ و مقعيا كالكلب ، وواجما كالأبكم وحزينا كمن فقد شيئا لا يعود أبدا ، قابعا بجوار شجر الصبار ... و أجهشت الوالدة بالبكاء والنحيب ...فقد أدركت بفراستها أن الكارثة فادحة ، و أن الخطب عظيم ، و أنه لم يعد هناك شك في أن حذاء الوالد قد ضاع فعلا الى يوم الدين " [24].

يتضح من خلال تعبير الكاتب الصادق حول ظروف و معاناة الأسرة ، و خوف الأم وبكائها من ضياع حذاء الوالد من ناحية، و الاغتراب النفسي الذي أحسّه بسبب المعاناة الاجتماعية من ناحية أخرى، حين وأيقن أن ضياع الحذاء قد يقلب الأسرة رأسا على عقب .

أمّا عندما أصيب بمرض السلّ في المغرب و أدخل المستشفى فوجد نفسه وحيدا نائيا عن الأهل و الأحباب ،يعاني العزلة بسبب المرض العضال المعدي فكابد الوحدة و عالج الوجد و الضّنى لأنّ " العلاقة بين الوحدة النفسية و المساندة الاجتماعية علاقة ارتباطية ، وأن الشعور بالوحدة له العديد من العوامل و الأسباب أهمها التقدم في العمر ، و نقص المساندة الاجتماعية ، و ضعف الصحة و فقدان شخص عزيز ، و توقع الموت و التقاعد و الشعور بالهامشية " [25].

إن ضعف الصحة يجعل المرء حساسا ، سريع التأثر و أحوج الناس إلى العناية والرعاية " ما هي الا أسابيع قليلة ، و اذا يوم يأتي عليك تتقيأ فيه الدم و أنت لا تعرف ما كان يجري لك من العلل و الهموم ... فتقصدت طبيبا فرنسيا مع صديق ، فأمر بأن تدخل مستشفى فاس فورا .... فقد تبين بكل بساطة أنك كنت مسلولا .... و كان الوالد هاجر بالأسرة بعد أن قصف الفرنسيون دشرة الخماس و مسجدها الجامع " [26].

ومما سبق يتضح جليا أنه في المجال الاجتماعي " توحيد كلمة الاغتراب بفقد السند لأن الغريب ضعيف لا سند له من قرابة ينتمي اليها أو ملجأ يحتمي به ، و المجتمع يحدد الغريب بأنه من لم يكن من أبنائه " [27].

وعبد الملك مرتاض طالب العلم في المغرب الأقصى عانى الكثير ، عايش المرض والألم ، عاسرته الظروف ، فوجد نفسه وحيدا غريبا بعدما تنكر له بعض معارفه هناك ، وفرقه عن أهله الذين هجروا دشرة الخماس بعدما قصفها الفرنسيون ، أثناء معركة الصبابنة ابان الثورة التحريرية ، و ذلك في منطقة مسيردة العليا .

و في تلك الحالة لا علاج للنفس ، و لا جلاء لهمومها الا بالحنين إلى الأهل والوطن و الذكريات الجميلة ، فيعود الى نفسه بعض سكينتها و طمأنينتها .

إستخدم " جون جاك روسو " الاغتراب بمعنى " تحول الانسان الى عبد للمؤسسات الاجتماعية و النماذج السلوكية التي أنشأها و ذلك في تطور التاريخ الإنساني " [28]، نجد الكاتب في سيرته الذاتية من خلال حديثه عن لبسه ملابسهم . أي الفرنسيين . و عمله في احدى معاملهم (معمل لاستوري بفرنسا) ، أصبح يتلقى الأوامر على أنه لا يعدو كونه رقما معينا ، فكان رقم تسجيله ثمانية آلاف و أربعمائة و ثمانية و أربعين ، " و كان

(فاندروط) رئيس فرقة العمل حين يضطر الى مناداتك ... لا يناديك الا بنصف رقمك اختصارا للزمن ، و توفيرا للجهد الصوتي ، مخافة أن يتعب حبال حنجرته برقمك الرباعي الطويل ... تعال يا (كارنط ويت) اعمل يا (كارنط ويت) " [29].

وهكذا تغدو الغربة غُربتان ، والاغترابُ لونان ، أول سببه الفقر والعوز والثاني أحدثه الاستغْراب بما يشكله بهيمنته السياسية و الاجتماعية في غالب الأحيان و بتحكمه في سبل عيش الجزائريين المغلوبين على أمرهم ، و خاصة أولئك الذين لم يجد منهم موالاة له .

6-الاغتراب الوجودي :

و يكون نتيجة حتمية للانفصال الذي يقع بين واقع الفرد و الممكن في وجوده الانساني، و لابد من الاعتراف و لو ضمنيا أن ظاهرة الاغتراب متأصلة في الأعمال الأدبية ضاربة في ابداعات كل أديب جاد اذا ما أخذت بالبحث و التمحيص و الدراسة المتأنية المتمعنة ، و قد يكون الاغتراب ذاته دافعا قويا للكتابة و الابداع رغم ذلك فلما يكتب الكتاب العرب في الغربة و الاغتراب سواء في الأعمال الروائية أو القصصية ، أم غيرها ، و ربما يكون الاغتراب مرتبطا بالوجود و هذا مجال لا يتأتّى الخوض فيه بأشكال مختلفة الا للفلاسفة وعلماء النفس .

إنّ في طريقة سرد عبد الملك مرتاض لمراحل من حياته الشخصية، من خلال سيرته الذاتية في الحفر في تجاعيد الذاكرة، مخاطبة علنية لنفسه و كأنها غدت غريبة عنه منذ زمن، فاذا به لا يوظف ضمير " الأنا " المتكلم ، بل يحيلها الى آخر يخاطبه من " أنت " كنت ، و ها أنت .... تقعد ، أبكرت ، كتبت ...

و يرى الوجوديون أنّ " الاغتراب هو البعد من الوجود العميق للإنسان والإنسان هو الحرية "،[30]و رغم محاولات الإنسان المتوالية من خلال تقصي الحرية و إعتناقها ، و من خلال معايشته للزمان ، و من خلال علاقاته و روابطه الاجتماعية ، من خلال أسرته أوعمله ، أن يتجاوز الاغتراب أو يشفى منه ، " فانه سيموت مغتربا ، و لأن الحياة نفسها إغتراب " [31].

إذن فالمعنى الوجودي للاغتراب واسع النطاق،عميق المفهوم ، متراكم الدلالات التي كثيرا ما تنحو منحى السلبية عند الوجوديين ، أما عند أديبنا عبد الملك مرتاض فهو شيء مختلف فهو محصن من تلك السلبية لكونه مسلما ، وعقيدة المسلمين تنص على روح الجماعة و الاندماج الاجتماعي فلا يعرف المسلم بحق انطواءا ولا اكتئابا لأنه يعلم لما خلق له { و ما خلقتُ الجِنَّ و الإنسَ إلاَّ ليعبُدون } صدق الله العظيم [32].

كما أنه يأنس بمن حوله و بزمنه " و يلازمك زمنك حتى كأنه أنت و تلازمه أنت حتى كأنك هو " [33].

إنّ الحياة التي عاشها الكاتب في صباه جعلته يحياها بكل ما فيها و يعيشها و يعاشها بمفارقاتها العجيبة " و كأن العالم كله طوي لك في هذا الحيز العجيب الذي لا يجاوز يضع العالم كّله طوي لك في هذا الحيّز العجيب الذي لا يجاور يضع خطوات، فياله من مشهد في لا مشهد، لقد كنت تتبع الأصوات و لا ترى الأشخاص، و كنت تسمع الثغاء و اليُعار، و النسب و الهيب، و لكنّك لم تكن ترى القطعان"[34].

يظلّ الإنسان خاصّة المسلم يحيا حياته الدّنيوية مزيجا من القلق و الأمل من الخوف و الأمن أحيانا لعلمه بأن هذه الدنيا حياة مؤقتة و أنّ إقامته فيها ليست إلا تأهب لحياة أُخروية مطلقة، فهو في هذه غريب مسافر و في الأخرى مقيم دائم، لأنه محكوم بالقضاء والقدر.

رغم أن الله سبحانه و تعالى خلق الإنسان ليعمّر الأرض و يقيم فيها شرع الله ، ويحكمها بالعدل ، ويبدع فيها و يقودها نحو الأفضل ، إلا أنه بين الفينة و الأخرى يتذكر أنها ليست إلا محطّة في حياته اللامحدودة ، فيجد نفسه يغترب عنها أحيانا ، و أحيانا يصيبه شيء من الأمن و الخوف من الألفة و الوحشة لأنها موطن الموت و الفناء ، و هذا ما عانى منه الكاتب بعد فقده اخوته " فقد مط أخوك محمد رجليه مطة شديدة ، شم زفر زفرة حارة فقد على اثرها الحياة ... و يعم الحزن القلوب ، و يفعم الأسى النفوس ... وأما أنت وأخوك الثاني الذي أصبح الآن هو الأكبر ، فقد أقعيتها كما يقعى الكلبان في صندوق يشبه بردعة الحمار ، ثم أخذتما تبكيان " [35].

وجود الانسان في هذه الحياة محدود مقدّر ، و هو ذاته يعلم ذلك رغم ذلك تجده يجزع لما يحدث له من ملمات، و يتألم أشد الألم لما يصيبه و يصيب من حوله .

7-الاغتراب المكاني :

يرى بعض الباحثين المعاصرين أن " الاغتراب : نقيض الاقتراب وهو الابتعاد عن الأهل و الديار و الوطن "[36]و يقول الإمام علي رضي الله عنه : " الغِنى في الغُربة وطن ، والفقر في الوطن غربة "[37].

و الغربة عنده فقد الأهل و الأحبّة و الفلان فنجده يقول : " فقد الأحبّة غُربة " [38]،وقد عاش رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم غريبا في قومه بمكّة ثلاث عشرة سنّة ، لأنّه جاءهم بأمر غريب عنهم و هو الإسلام ، والذي دعاهم من خلاله الإيمان بالله وحده وهو شيء لم يألفوه ، و هكذا أضحى المسلم حبيس غربتين : غربة مكانية حسيّة ورثها عن جده آدم عليه السلام ، و غربة فكرية روحية تؤصل لها غربة الرسول محمد عليه الصلاة والسلام، و ذلك في الثلاثة عشر عاما من البعثة التي عاشها في مكة ، فغدت غربة زمانية مكانية،وجد المسلم نفسه بإسلامه أصبح كأنه في زمن غير زمانه ، و صارت مكّة موطن الصبا وعهد الشباب كأنها غريبة عنه و هو غريب عنه ، و هذا ما وجد عبد الملك مرتاض الشاب نفسه مجبرا عليه ألا و هي الغربة المكانية من خلال الهجرة الى فرنسا لأجل تحصيل المال الذي يساعده على طلب العلم " وكان لابّد ممّا ليس منه بد ، وهو الهجرة إلى فرنسا من أجل الكدح هناك لجمع مبلغ من المال للذهاب الى أحد ما قط العرفان . كان ذلك عليك أمرا محتوما " [39].فعانى أهوال السفر في البحر لأول مرة في حياته ناشدا بلاد الغربة "وامتطيتم متن الباخرة غداة غد لتصلوا مرسيليا من صباح الغد الآخر، و لكن بعد محنة رهيبة " [40].

لقد كانت تلك السفرة بل الهجرة الى فرنسا مجرد بداية اغترابات مكانية توالت فيما بعد طلب العلم ، أما في فرنسا فقد عاين ألوانا من المعاناة في منزل عمه حين كان مضطرا لمقاسمة أخيه سريرا واحدا صغيرًا ، و كانت عمه الخشية كلها . المطلة على سكة الحديد ،

تهتز عند مرور القطار ، و قد كانت محشودة بعمال جزائريين و آخرين مغاربة مغتربين غالبيتهم أميين .

أمّا في مصنع (لاستوري) فقد عايش الشدة في العمل فهو مرة يعمل في شحن عربات القطار بالفحم الحجري ، و عمل أعمالا كثيرة في ساعات العمل تحت المطر و البرد حتى يمكنه العمل داخله فيما بعد و ذلك بمثابة الترقية " و كنت في بعض الأطوار تشتغل في شحن عربات القطار بالفحم الحجري المطحون ، فكانت ملامحك تستحيل الى سواد قاتم (...) و كان عليك أن تقضي ستة أشهر عمالة تكدح ، فتنهض بأي شيء في ساحات المعمل " [41].

ثمّ دارت به رحى الزمان مرة أخرى، ليجد نفسه في مصنع (لامينوار) ترقية له، فأصبح يجمع بقايا الزنك ليعيدها الى الفرن و تصهر حتى تصير سبائك زنكية* ، و هكذا عانى الأمرين الى أن غادره بعد تسعة أشهر عائدا إلى الجزائر* .

ملخص ما عاشه صاحب السيرة الذاتية بين أيدينا الدكتور عبد الملك مرتاض في شبابه يمثله المخطّط الآتي :

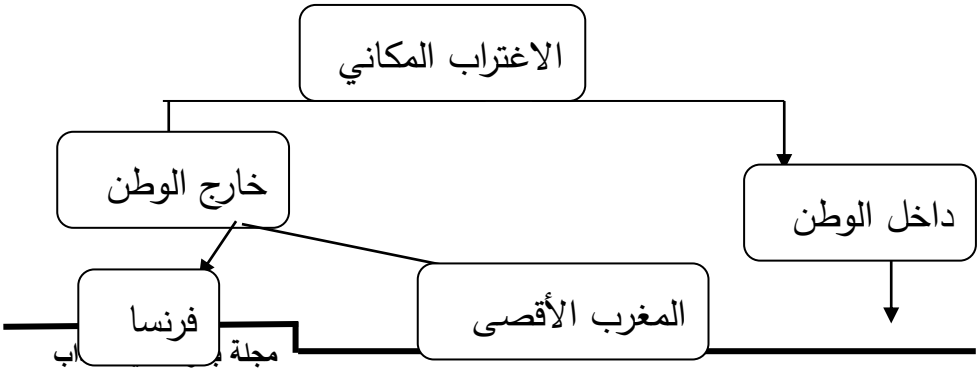

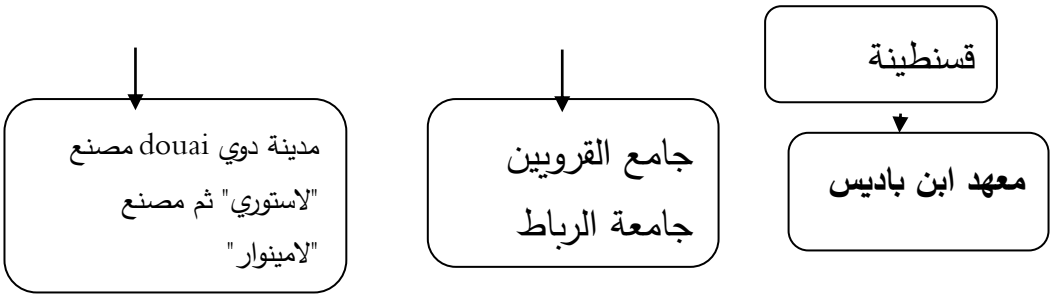

ليست فكرة البحث في الزمن و الاستفسار عنه وليدة الحاضر ، بل هي فكرة ضاربة جذورها في العصور العابرة ، اذ تكفينا العودة الى الأساطير و الخرافات لما قبل التاريخ لنكتشف ذلك ، هذه الأساطير التي كانت تطمح الى تحقيق الخلود للانسان الذي يعرف الفناء كسائر المخلوقات الأخرى ، فرأوا في التأله و طلبه خلودا و في الانجاب في حد ذاته تمردا على الزمن ، لكن ذلك كله لم يحقق للانسان ما أراده فقد ظل طوال مراحل حياته وعبر التاريخ و الحضارات عاجزا أمام قوة الزمن الكامنة في كينونته ، فبقي رغم كل المحاولات لغزا صعبا تحليله و استحال وجود قوانين تضبطه أو تحد سيرورته ، " ان عامل حياة الكائنات البشرية نضال ضد الزمان فهي تبغي التعلق بحب بصداقة ، بقناعات ، لكن نسيان الأعماق يرتفع شيئا فشيئا حول أجمل ذكرياتهم و أغلاها "[42].

يتدرج الكاتب في سرد سيرته الذاتية في الايطارين الزماني و المكاني فكثيرا ما يطرب لذكريات طيبة سعيدة ، على الرغم من قلتها " انه فصل الربيع الخصيب . فلقد كنت متحررا اليوم من رعي المواشي فكنت طليقا كالهواء (...) و لقد وقعت لأول مرة في حياتك على وكن حجلة فيها تسع بيضات جميلات فسررت بذلك أعظم سرور " [43].

ورغم بساطة الحياة و فقرها في زمان صبى الكاتب فقد كان الناس يجدون في أبسط ما يحصلون عليه بحبور عظيم ، و يتلقونه بنفوس شاكرة حامدة ، تعرف للنعمة قدرها " قعدت و تأملت جيدا المكمن الذي كان تحت الصخرة ، فاذا أرنب هناك كامن و لم تستطع مشاهدته أول الأمر لاظلام المكمن و عمقه نسبيا (...) مددت ساعدك و أمسكت به (...) لقد تبسم لك الحظ ذلك اليوم مرتين اثنتين "[44].

لعلّ هذا التعبير عن فرحة الكاتب دليل على مدى البساطة و التواضع و الصدق التي كانت تلتم كلها في نفس الانسان الجزائري قديما في عصر الكاتب و هذا منبع من الأصالة الصادقة .

" ينظر علم النفس البيئي للعلاقة بين الشخص و البيئة على أنها علاقة ذات نسق متشابك و متلاحم ، بعبارة أخرى فان السلوك الفردي يتعدل و يتغير بمقدار و شكل الاستجابات التي تبديها البيئة على هذا السلوك أي العائد البيئي لسلوك الفرد " [45].

و للحياة الفردية ثلاث مظاهر ، الادراك و الوجدان و النزوع ، تجتمع في كل موقف شعوري يواجهنا ، فالانسان يعرف الشيء الذي يراه فيشعر نحوه بشيء ما يدفعه الى القيام بسلوك ما هذا اذا لم يحس بتغيير في الشيء الذي ألفه من قبل ، أو المكان الذي ارتاده مسبقا و لربما عاش فيه حينا من الدهر ، انها غربة المكان " و أبت يوما ما ، من

شهر سبتمبر الى مسيردة فلاحظت أن الأرض قد تبدلت ، و أن ما كنت تراه جميلا من قبل أمس ناشزا في مرآه و لم يعد فيه ذلك البهاء المعهود "[46].

كانت نتيجة ذلك كله أن تفككت أناه ، الأنا اذا انغمست في الزمان تفككت و أثناء "عملية الاستحضار هذه اقترن الزمان بالمكان ليشكلا لحمة واحدة " و ان الثنائي الذي قوامه الاحساس الحاضر و الذكرى العائدة بالنسبة الى الزمان كالمنظار المجسم بالنسبة الى المكان فهو يخلق وهم البروز الزمني ، و في هذه اللحظة يستعاد الزمن و نقهر في الوقت نفسه لأن كل قطعة كاملة استطاعت أن تصبح قطعة من الحاضر " [47] .

و يقول عبد الملك مرتاض في سيرته الذاتية " و أن الطريق الذي كنت تعتقد أنه لجلب لم يكن في حقيقه الا مسلكا وعرا ملتويا ، و أن ما كنت تراه خصبا من الأمكنة لم يكن في واقع الأمر إلا جدبا " ذلك ما يمكن أن يحدث لأي شخص غاب لفترة عن مكان ألفه و درب على العيش فيه ، ثم يعود اليه فيجد أنه مختلف عما ألفه و ينظر اليه كأنه مكان غريب عنه و هذا ما حدث للكاتب بعد عودته من فرنسا بعد العمل الشاق في معاملها بمدينة (دُوي).

إنه تضارب الأمكنة من قرى ملؤها الفقر و التخلف الحضاري الى مدينة غاية في التحضر ثم العودة من جديد .

أما في جامعة السُربون الثالثة فحقق أعظم حلم في حياته ، و هو حصوله على شهادة " الدكتوراه " فعانى الاغتِرَابْ مرّة أخرى لأنه لم يجد من يشاركه فرحته للنجاح المحقق " وكانت المناقشة التي تمت بجامعة السربون الثالثة ، بعد زهاد سبع سنوات من البحث المتواصل ... برئاسة الأستاذ محمد " أركون " ، و عضوية أربعة آخرين من الأساتذة المعربين و الفرنكوفيين منهم الأستاذ " ميكائيل " ...

و كانت فرحة معسولة لم تجد من يشاركك فيها في يوم من أيام شهر يونيو بباريس، (...) و الفرحة تغمر أعماقك دون أن يعرف أحد من أولئك الخلق أنك حققت أجمل حلم"[48].

1. خلاصة ما استجمعته ذاكرة الأديب ممثل في هذا المخطط:

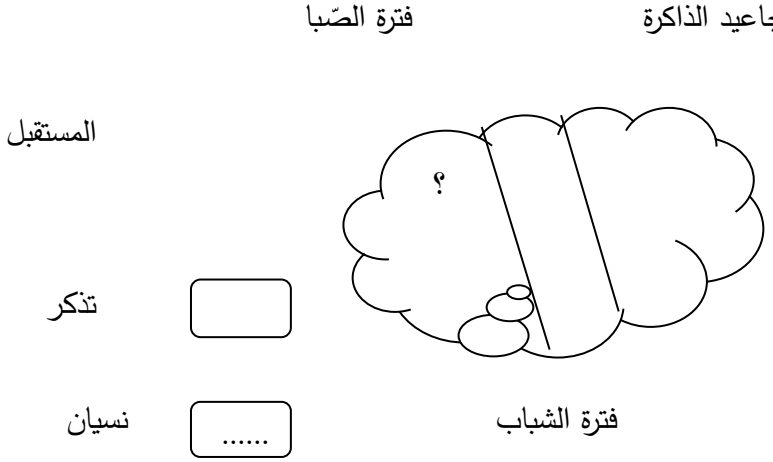

أما مسار حياته فيوضحه هذا الرسم البياني:

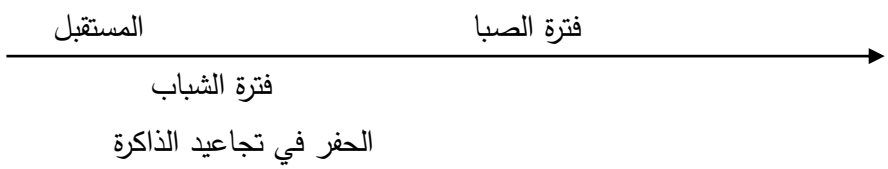

8-الاغتراب السياسي :

و هو أحد أشكال الاغتراب الاجتماعي ، و يتمثل في التباعد و التقاعس عن أداء دور ليس لعدم القدرة على التأثير فعلا بل لتقييم الشخص لذاته و للموقف السياسي ، و انما هو شعور بانعدام الأمن ، و بالعجز عن ممارسة أي عمل سياسي أو حتى ردة فعل " انما الاغتراب أيضا تعبير عن الحرمان و الضياع ، خصوصا حين تجيء المستعمر فيسرق من الجماعة التي يستعمرها أرضها و حضارتها و لغتها و شخصيتها .. الانسان العربي الذي ذاق مرارة الاستعمار لم يلبث أن وجد نفسه غائبا عن أرضه و عمله ، غريبا في صميم وطنه و فوق تربة أجدادِه "[49].

هذا ما يوضّحه ذكر الكاتب لحالة سكان مسيردة أثناء خطاب الحاكم الفرنسي في الشوق أنهم قوم مغلوبون على أمرهم ، و هم نموذج مصعر عن الشعب الجزائري بكيانه وكليته في ذلك الوقت .

زمن الاحتلال " و اسمعوا يالكلاب سيدي الحاكم يخطب عليكم ، و ألقوا الحاكم كلمة باردة على الفلاحين و الفقراء المحرومين في سوق الأحد ، فلم يحدثهم عن مشروع يشغلهم فيه ، و لا عن شق طريق يفك عنهم العزلة و النأي عن مواقع الحضارة والحياة"[50].

و لم يعد خطاب الحاكم عن كونه تخويفا و انذارا للجزائريين من مغبة فتنة قادمة على وشك اشتعال نيرانها ، و أن فرنسا قوية تنتقم من كل من يشارك فيها " [51].

و أما أعوان الحاكم و هم من الجزائريين الذين باعوا ضمائرهم و خانوا وطنهم، القائد الذي كان عونا للحاكم الفرنسي و يده التي يبطش بها و يسددها في وجه الشعب المسكين.

" في كل ذلك كيف كان القائد العجوز يخاطبهم بتلك اللهجة التي كانت تزدريهم فتجعلهم مجرد كلاب نابحة ، و دواب سائمة و لم يحتج أحد عليه منهم و لم يعترض ، ولم يعترض و لم ينتفض ، و لعل ذلك كان عائدا الى الخوف من أن يسومه القائد سوء العقاب "[52].

8-الاغتراب السياسي :

و هو أحد أشكال الاغتراب الاجتماعي ، و يتمثل في التباعد و التقاعس عن أداء دور ليس لعدم القدرة على التأثير فعلا بل لتقييم الشخص لذاته و للموقف السياسي ، و انما هو شعور بانعدام الأمن ، و بالعجز عن ممارسة أي عمل سياسي أو حتى ردة فعل " انما الاغتراب أيضا تعبير عن الحرمان و الضياع ، خصوصا حين تجيء المستعمر فيسرق من الجماعة التي يستعمرها أرضها و حضارتها و لغتها و شخصيتها .. الانسان العربي الذي ذاق مرارة الاستعمار لم يلبث أن وجد نفسه غائبا عن أرضه و عمله ، غريبا في صميم وطنه و فوق تربة أجدادِه " [53].

هذا ما يوضّحه ذكر الكاتب لحالة سكان مسيردة أثناء خطاب الحاكم الفرنسي في الشوق أنهم قوم مغلوبون على أمرهم ، و هم نموذج مصعر عن الشعب الجزائري بكيانه وكليته في ذلك الوقت .

زمن الاحتلال " و اسمعوا يالكلاب سيدي الحاكم يخطب عليكم ، و ألقوا الحاكم كلمة باردة على الفلاحين و الفقراء المحرومين في سوق الأحد ، فلم يحدثهم عن مشروع يشغلهم فيه ، و لا عن شق طريق يفك عنهم العزلة و النأي عن مواقع الحضارة والحياة"[54].

و لم يعد خطاب الحاكم عن كونه تخويفا و انذارا للجزائريين من مغبة فتنة قادمة على وشك اشتعال نيرانها ، و أن فرنسا قوية تنتقم من كل من يشارك فيها " [55].

و أما أعوان الحاكم و هم من الجزائريين الذين باعوا ضمائرهم و خانوا وطنهم، القائد الذي كان عونا للحاكم الفرنسي و يده التي يبطش بها و يسددها في وجه الشعب المسكين.

" في كل ذلك كيف كان القائد العجوز يخاطبهم بتلك اللهجة التي كانت تزدريهم فتجعلهم مجرد كلاب نابحة ، و دواب سائمة و لم يحتج أحد عليه منهم و لم يعترض ، ولم يعترض و لم ينتفض ، و لعل ذلك كان عائدا الى الخوف من أن يسومه القائد سوء العقاب "[56].

ما أورده الكاتب من أحداث سارية أثناء حقبة الاستخراب ، و كيف كان الشعب واقعا بين مطرقة الحكام الفرنسيين و سندان الموالين لهم من الى الجزائر زورا و بهتانا و هذا هو يوضحه هذا المخطط :

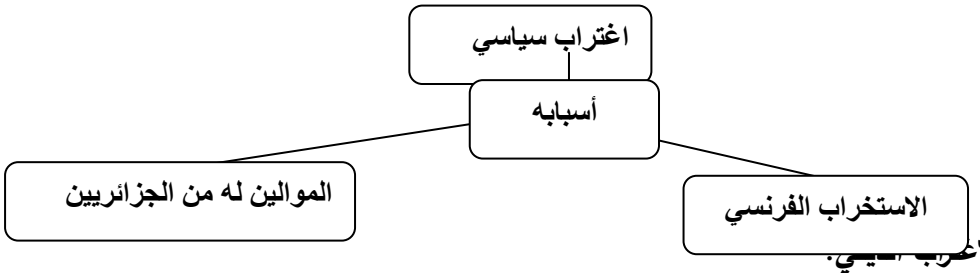

9-الاغتراب الديني:

نظر " فيدباخ " كما ورد في الفصل الأول أن منبع الاغتراب الحقيقي هو الاغتراب الديني باعتباره أساس كل اغتراب و أن الدين من الناحية الفكرية عماده احتمالين هما :

إما أن القصص الدينية روايات حقيقية لحوادث حقيقية و إما أن تستدل على قواعد الايمان بالعقل ، و التعامل معها على أنها حقائق يسلم العقل بصحتها و أنها خاضعة له .

فالاغتراب الديني عند الفلاسفة ، هو اغتراب الانسان عن ذاته بل اغترابه عن أفضل الصفات التي كانت تتحلى بها نفسه فبلا هذا حسب منظور " اريك فروم " أما " ميلر " فينظر اليه على أنه لون من ألوان الاغتراب الاجتماعي ، باعتبار أن المؤسسات الدينية أصبحت مؤسسات اجتماعية في تعاملاتها الادارية* .

الوقائع التي عاشها الكاتب، بل عايشها في الخربيش بالخماس من حفظ للقرآن ، وفي كل من جامع تيزي حماد ، و في جامع القمرة و حتى في القراءات في الجنائز ، فهي من الأمور المحمودة في غالب الأحيان ، لكن ما يثير الغرابة ، بل يجعل المرء مغتربا عن دينه حينما يلبس الدين بالدجل ، كتلك " الحروز "التي كانت تكتب في غالب الأحيان ولمعالجة كل أمر شائك كالاستطباب و قضاء الحوائج و جلب المحبة ، و هذا ما ليس من الدين فيورد الكاتب ذكره على أن نذكره ، بل في بعض الأحيان يسخر منه لشعوره بالاغتراب عن تلك المعاملات التي لا تمت للدين يورد في حادثة مرض أخيه " محمد " الذي مات في العاشرة من عمره كيف أن والده كان يقدم له محوا على أنه دواء " و كان الوالد يكتب له الحروز تلو الحروز ثم ينقعوها له في الماء و الفجل ليشرب الفتى سائلا أسود كالقطران لعله يبل من علّته القاتلة " [57].

وحين يسترسل الكاتب في تعداد ما تحويه سوق الأحد من منافع و خدمات ، من مقاه و دكاكين و حذّائين و حلّاقين و النّحاسين ...

حين يذكر النّحاس الذي كانت تقصده العجائز لتنحيس الحروز التي استكتبوها إذ كان " ينسّق عمله خصوصا مع كتبة الحروز من الطلبة ، فقد كانوا الحرّازون لا يزالون يوصون زبائنهم بتنحيس الحرز المكتوب حتّى يظلّ مفعوله نافعا لهم و كانوا بالمعتقدات يصدّقون [58]".

و يعلّق على معتقدات بعض طلبة القرآن الكريم في اعتقاداتهم الخاطئة.رغم أنّهم كانوا على قدر من العلم " و كان الطلبة على ما كان في عقولهم من بعض التّنوير بالقياس إلى عامة الأمّيين إلّا أنّهم مع ذلك كانوا يصدّقون كثيرا من الخرافات و لا يرتابون " [59].

كما كانت لكل قبيلة في مسيردة بصنفيها ،العليا و السفلى وعدة خاصة " ما لم يكن أهلها من المصنفين في طبقة الشرفاء وعدتها الموسمية التي يتجمع من حولها أهل القرية وهم يتقرّبون إلى ضريح معروف عندهم ، أو مكان أثير لديهم بالعتائر يذبحونها " [60]

كانت تقام " الوعدات " حول الأضرحة ، اعتقادا من النّاس على أنّها شيء من الدّين ودليل ذلك تلك الطقوس التي كان يقوم بها أهل كل قرية أو قبيلة أو دشرة .

كثيرا ما يذكر الكاتب كيف كان الناس يتبرّكون بالأضرحة، أحيانا كانوا يعتقدون ببركة بعض الأمكنة من خلال تعاملات الناس معها " على حين أن التوامه " سكان تاشعبان كانوا ربما هم أيضا أقاموا وعدة ربيعية بخربيش و كانوا بذلك معتزين بل كان بجوار داركم بقعة صغيرة مهيأة على قارعة الطريق العام كان الوالد ربما صلى فيها صلاة المغرب ... كما كان أهل التوامة .... ربما صلوا بها صلاة العصر و صلاة المغرب متبركين" [61] ويستطرد كلامه أن ذلك المكان اكتسى في عقول الناس قدسية خاصة بعد كثرة ارتياد عامّة النّاس وخاصّتهم له و شيئا فشيئا ، بدأت الأمّ و العمّة و سائر القريبات يطلقن على تلك البقعة " مقام الصالحين "، فلم يلبث أن صار ذلك المكان الذي لم يكن به أي قبر: يعتقد فيه البركة و يزداد " [62].

و هكذا دواليك ظل في سرد أحداث و طقوس الوعدة ، يستغرب أمر الدين الذي اختلط حابله بنابله في عقول العامّة و لم يجل لهم : ألا إنّها دسائس الاستخراب الفرنسي الذي أراد الخلود في الجزائر بتشويه العقيدة و إضلال الناس عن دينهم الحق.

مخططان يمثلان اختلاط الدين بالشعوذة و الدّجل

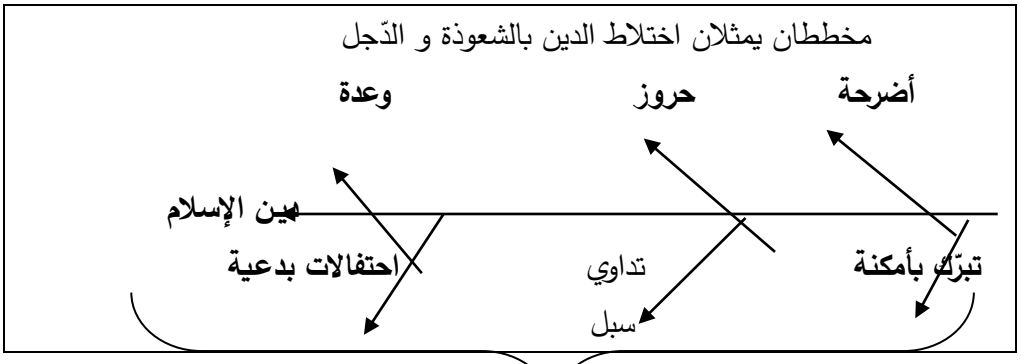

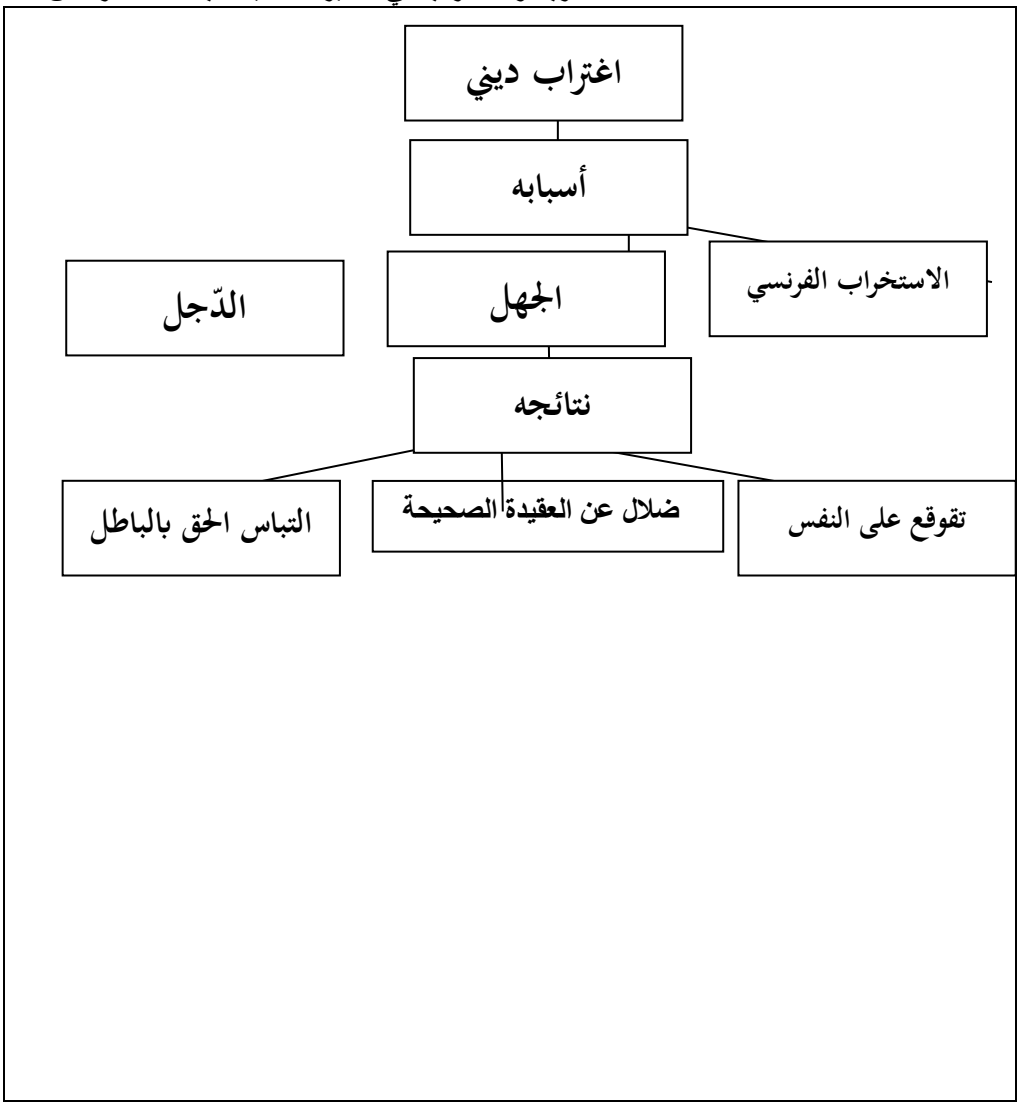
اغتراب ديني
أسبابه
الاستخراب الفرنسي
الجهل
الدّجل
نتائجه
تقوقع على النفس
ضلال عن العقيدة الصحيحة
التباس الحق بالباطل

الدّين الحق ، هو الدّين الصحيح الخالص من كل الشوائب التي تعلق به فتشوّهه : الدّين القويم هو الذي يغترف الناس من نبعه الصافي بأحكامه الربانية و شرائعه الالهية التي أوجدت لنفعه وتيسير حياته ، إنّها العقيدة الرّاسخة التي تقود الى التعمير و التحضّر ، تلك التي تقوّم سلوكه ، وتجوّد ذهنه و تقوّي عزيمته التوّاقة الى الحريّة من قيد الاحتلال ، وتحرّر نفسه من الإذلال و الخضوع للوثنيّة الباطلة ، و تكشف له أسرار بشرية أصبحت محنّطة في كفن الحجود، خلقها الله فعبدت غيره، و أنعم عليها فشكرت سواه، إنّ الدّين البيّن هو الذي استغرب الكاتب من تغييبه فأضحى غريبا في بعده ...

10-الاغتراب التعليمي (الثقافي) :

كثير من طلبة العلم يجدون أنفسهم مرغمين على دراسة أنماط من العلوم لا يرغبون فيها أو لا يجدون في أعماقهم ميلا علميا إليها خاصّة طلاب الثّانويات و الجامعات حين يتوجّهون إلى تخصّصات علمية لا توافق طموحاتهم .

لذلك لا يجد آلاف الطلاب فيما يتعلّمونه و يلقّنونه من العلوم المختلفة معنى ولا مغزى، و لكنّهم يتلقّونه اضطرارا لذلك فهو " تنازل الإنسان عن حقّه الطّبيعي في امتلاك ثقافة حرّة متطوّرة إراحة لذاته و إرضاء لمجتمعه " [63]و بذلك فهم مغتربون فعلا ، و قد عانى أديبنا عبد الملك مرتاض من ذلك عندما شدّ الرّحال إلى مدينة فاس طلبا للعلم، التحق بجامعة القرويين و انضمّ إلى حلقات العلم المقامة هناك " و كان كلّ أستاذ يتحلّق من حوله خلق من الطلّاب ، فلا هو فيما يبدو ، كان يفهم ما يقول ، و لا هم أيضا كانوا يفهمون عنه ما يقول ؟ فكان الأمر قائما في هذه الحلقات على هذه العلاقة الغامضة بين الشيخ والطلّاب ." [64]

انتقل عبد الملك مرتاض بعد ذلك الى مدينة الرّباط ، و ذلك لأجل الالتحاق بالطّور الجامعي، وواجه تلك الفجوة من جديد بينه و بين من يقدّمون له المناهج و المقرّرات التعليميّة التي لم تعد في حقيقتها إلّا تعليما مضطرب الأركان متفاوت الموازين و ذلك عائد إلى الفروقات العلمية الكبيرة بين أساتذة الجامعة الّذين كانوا في حقيقة أمرهم شيوخا في جامع القرويين ، " فلم يستطيعوا الرقي بفكرهم الى مستوى المنهج الجامعي في إلقاء محاضراتهم التي لم تكن في حقيقتها إلّا دروسا سطحيّة في غاية من الجذب العلمي " [65]، لكنّه رغم ذلك حقّق النجاح تلو النجاح في التحصيل العلمي بالمغرب في شهادة الحضارة ثمّ التخرج من المدرسة العليا للأساتذة بالرباط .

التحق بالجزائر و أراد التسجيل لنيل شهادة دكتوراه دولة من الدرجة الثالثة " حين لم تجد أي تسهيل في جامعة الجزائر على الرغم من كل المساعي التي بذلت ... و يبدو أن الزملاء في قسم اللغة العربية يومئذ كان لهم حكمة و تدبير في عدم تيسير تسجيلك في دكتوراه الدولة و هم مبجّلون ..." [66]

فقد عانى الكاتب من اغتراب تعليمي في وطنه الجزائر حين حرم من استكمال دراساته العليا ، على عكس المغرب الأقصى الذي وجد فيه كلّ التّسهيلات .

هذا كان عبارة عن جزء من الاغتراب التعليمي الذي عاشه أديبنا عبد الملك مرتاض وهنا تنتهي محطّتنا في الحديث عن الاغتراب الذي عاشه و الذي تطرقنا إليه عبر كتابه "الحفر في تجاعيد الذاكرة " و لكن إن كنا تحدّثنا عن اشياء فهناك أمور نجهلها لأن نفسية

كلّ شخص فينا حتى و إن تحدّثت عمّا بداخلها إلّا أنّ هناك أمورا لا يمكن الحديث عنها خصوصاً في هذه الدراسة حول ظاهرة الاغتراب بكل أنواعه، النّفسي والأسري و الاجتماعي والثقافي و التعليمي....

Summary: This research tries to highlight the phenomenon of alienation, which is a psychological phenomenon that the human soul has seen since its first impact on the earth's perpetuation, which is the psychological unity that affects man because of the conflicts between his surroundings and himself, and the literature is not immune from it, he is the most affected people, so his writings reflect different races of dissatisfaction and feeling of non-belonging and desire for isolation and distance. Algerian literature is not immune to what is going on in the literary scene, its modern and contemporary, as dr. Abdelmalek Murtad's works float to prove the keeping pace with all the developments, and his autobiography tagged with digging in the wrinkles of memory" translated this and reflected it, with its various strangeness and alienation; family, social, existential, spatial, political, religious, ... And others.

Keywords: Abdul Malik Murtadat, Biography Literature, Alienation, Family, Social, Existential, Spatial, Political, Religious

[1] عكاشة فاطمة، مقابلة مع الدكتور عبد المالك مرتاض،مرجع سابق، بتاريخ 13- 02 – 2012م. بوهران.
[2] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، د ت، ص 11.
[3] المصدر نفسه، ص 17.
[4] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة، مصدرسابق، ص 85.
[5] المصدر نفسه، ص93.
[6] المصدر نفسه ، ص 93.
[7] الحفر في تجاعيد الذّاكرة،عبد الملك مرتاض، مصدرسابق، ص 98.
[8] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، ص 176.
[9] المصدر نفسه، ص 176.
[10] لويس معلوف : المنجد في اللغة و الاعلام ، دار المشرق ، بيروت ، ط 7، 1988، ص 170.

[11] Lynch ,J , the broken heart the medical consequences of loneliness , 1977, new york , p 233.
[12] كمال عودة و آخرون ، الصحة النفسية في ضوء علم النفس و الاسلام ، ط 3، الكويت ، دار القلم للكتاب ، 1994، ص 06.
[13] عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة، المصدر السابق، ص 63.
[14] حامد عبد السلام زهران : الصحة النفسية و العلاج النفسي ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط03، 1997، ص 27.
[15] عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، مصدر سابق، ص 144.
[16] ليلى المزروع ، فعالية برنامج إرشادي لتنمية المهارات الاجتماعية في تخفيف حدة الشعور بالوحدة النفسية لدى عينة من طالبات جامعة القرى ، مجلة الارشاد النفسي ، العدد 06، 2003، ص 163.
[17] الحفر في تجاعيد الذاكرة ، مصدر سابق ، ص 217.
[18] المصدر نفسه ، ص 11.
[19] المصدر نفسه ، ص 204.
[*] مثل يضرب عند العرب لمن كان سببا في إهلاك نفسه .
[20] أمل العنزي : مواجه الضغوط عند الصحيحات و المصابات بالأعراض النفسية ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية ، 2006، ص 25.
[21] انتصار يونس : السلوك الانساني ، دار المعارف ، جامعة الاسكندرية ، 1993، ص 68.
[22] عبد الملك مرتاض : الحفر في تجاعيد الذاكرة ، ص 24.
[23] مايسة النيال : بناء مقياس الوحدة النفسية و مدى انتشارها لدى مجموعات عمرية متباينة من أطفال المدارس بدولة قطر ، مجلة علم النفس ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد25، 1993، ص 103.
[24] عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، مصدر سابق، ص ص 319، 320.
[25] محمد حسن غانم، المساندة الاجتماعية المدركة، دار غريب للطباعة، القاهرة، مج1، العدد 03، 2002، ص 49.
[26] عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة ، مصدر سابق، ص 164.
[27] فتح الله خليف ، الاغتراب في الاسلام ، مجلة عالم الفكر ، ع1، الكويت، 1979، مج 10، ص 77.
[28] علي وطفة ، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية ، مجلة عالم الفكر ، ع2، مج 27، ص 246.
[29] الحفر في تجاعيد الذاكرة ،مصدر سابق، ص 250.
[30] فاطمة طحطح : الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، ط1 ، مكتبة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب 1993، ص 34.
[31] حسن حنفي : ندوة حول مشكلة الاغتراب ، مجلة عالم الفكر ، ع1، الكويت، 1979، مج 10، ص 136.
[32] سورة الذاريات ، الآية 56.
[33] عبد الملك مرتاض : الحفر في تجاعيد الذاكرة ،المصدر سابق، ص 09.
[34] عبد الملك مرتاض : الحفر في تجاعيد الذاكرة ،المصدر سابق، ص 39، 40.
[35] المصدر نفسه ،ص ص 96، 98.
[36] مها عبد الله سعيد الزهراني : الاغتراب والحنين بين شعر المشارقة و الأندلسيين في القرن السادس هجري ، ط ، نادي المنطقة الشرقية ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، 2004، ص 16.
[37] نهج البلاغة : الامام علي بن أبي طالب ، ط1 ، دار البلاغة ، بيروت ، 1989، ص 674.
[38] المرجع نفسه، ص 675
4عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة ،المصدر سابق، ص 224.
[4] الحفر في تجاعيد الذاكرة ،عبد الملك مرتاض ، ص 228.
[41] المصدر نفسه ، ص 249.
[*] ينظر الحفر في تجاعيد الذاكرة، ص 256.
[42] مارسيل بروست : البحث عن الزمن المفقود ، تر : الياس بديوي ، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي ، دمشق ، 1977، ص 09.
[43] عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة ،المصدر سابق، 74.
[44] المصدر نفسه ، ص 78، 79.
[45] عبد الستار إبراهيم : أسس علم النفس ، دار المريخ للنشر ، الرياض ، 1407 هـ، 1987، ص 69.

[46] عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة ،المصدر السابق، 142.
[47] مارسيل بروست : الزمن المفقود ، ترجمة: الياس بديوي مرجع سابق، ص 11
[48] عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة ،المصدر سابق، ص 180.
[49] زكريا ابراهيم ، معنى الاغتراب عند الانسان العربي المعاصر ، مجلة العربي ، الكويت ، ع 194، يناير 1975، ص ص 153، 154.
[50] عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة ،المصدر سابق، ص 290.
[51] المصدر نفسه ، ص 290.
[52] عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة، المصدر سابق، ص 291.
[53] زكريا ابراهيم ، معنى الاغتراب عند الانسان العربي المعاصر ، مجلة العربي ، الكويت ، ع 194، يناير 1975، ص ص 153، 154.
[54] عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة ،المصدر سابق، ص 290.
[55] المصدر نفسه ، ص 290.
[56] عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة، المصدر سابق، ص 291.
[*] ينظر الفصل الأول، (الاغتراب الديني).
[57] عبد الملك مرتاض ، الحفر في تجاعيد الذاكرة، المصدر سابق، ص 96.
[58]المصدر نفسه ، ص 272.
الحفر في تجاعيد الذاكرة ، ص 282.[59]
المصدر نفسه ، ص 331.[60]
[61] المصدر نفسه، ص 331، 332.
المصدر نفسه ص 232.[62]
[63] حازم خيري : الاغتراب الثقافي للذات العربية ، ط ، دار العالم الثالث ، القاهرة ، مصر ،2006، ص 20.
[64] الحفر في تجاعيد الذاكرة ، ص 163.
[65] الحفر في تجاعيد الذاكرة ، ص 167.
المصدر نفس16366

المصادر والمراجع:

***القرآن الكريم**

أ/المصادر:

1- عبد المالك مرتاض، الحفر في تجاعيد الذاكرة، دار الغرب للنشر و التوزيع، وهران، د ت، ص 11.

ب/ المراجع العربيّة:

[66] كمال عودة و آخرون ، الصحة النفسية في ضوء علم النفس و الاسلام ، ط 3، الكويت ، دار القلم للكتاب ، 1994.

1- انتصار يونس : السلوك الانساني ، دار المعارف ، جامعة الاسكندرية ، 1993.
حامد عبد السلام زهران : الصحة النفسية و العلاج النفسي ، القاهرة ، عالم الكتب ، ط03، 1997.
2- حازم خيري : الاغتراب الثقافي للذات العربية ، ط ، دار العالم الثالث ، القاهرة ، مصر ،2006.
3- حسن حنفي : ندوة حول مشكلة الاغتراب ، مجلة عالم الفكر ، ع1، الكويت، 1979، مج 10.
4- زكريا ابراهيم ، معنى الاغتراب عند الانسان العربي المعاصر ، مجلة العربي ، الكويت ، ع 194، يناير 1975.
5- فاطمة طحطح : الغربة و الحنين في الشعر الأندلسي، ط1 ، مكتبة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب 1993.
6- علي بن أبي طالب نهج البلاغة : ، ط1 ، دار البلاغة ، بيروت ، 1989.
7- محمد حسن غانم، المساندة الاجتماعية المدركة، دار غريب للطباعة، القاهرة، مج1، العدد 03، 2002.
8- مها عبد الله سعيد الزهراني : الاغتراب والحنين بين شعر المشارقة و الأندلسيين في القرن السادس هجري ، ط ، نادي المنطقة الشرقية ، الدمام ، المملكة العربية السعودية ، 2004، ص 16.

ج/المراجع الأجنبيّة:

1- Lynch ,J , the broken heart the medical consequences of loneliness , 1977, new york , p 233.

د/المعاجم والقواميس:

1- لويس معلوف : المنجد في اللغة و الاعلام ، دار المشرق ، بيروت ، ط 7، 1988.

ه/المراجع المترجمة:

1- مارسيل بروست : البحث عن الزمن المفقود ، تر : الياس بديوي، منشورات وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، دمشق ، 1977.

و/المجلات:

1- فتح الله خليف ، الاغتراب في الاسلام ، مجلة عالم الفكر ، ع1، الكويت، 1979، مج 10، ص 77.
2- علي وطفة ، المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية ، مجلة عالم الفكر ، ع2، مج 27.
3- ليلى المزروع ، فعالية برنامج إرشادي لتنمية المهارات الاجتماعية في تخفيف حدة الشعور بالوحدة النفسية لدى عينة من طالبات جامعة القرى ، مجلة الارشاد النفسي ، العدد 06، 20030
4- مايسة النيال : بناء مقياس الوحدة النفسية و مدى انتشارها لدى مجموعات عمرية متباينة من أطفال المدارس بدولة قطر ، مجلة علم النفس ، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، العدد25، 1993.

ز/الأطاريح والرّسائل الجامعيّة :

1- أمل العنزي : مواجه الضغوط عند الصحيحات و المصابات بالأعراض النفسية ، رسالة ماجستير ، كلية التربية ، جامعة الملك عبد العزيز ، السعودية ، 2006.

ح/المقابلات:

1- عكاشة فاطمة، مقابلة مع الدكتور عبد المالك مرتاض، بتاريخ 13- 02 – 2012م. بوهران.